

كرامات ومناقب صلحاء وأولياء تلمسان خلال العهد العثماني من خلال إنتاجهم الصوفي (قراءة لنماذج).

Miracles and virtues of Tlemcen Righteous and Saints during the Ottoman era through their Sufi production: Reading examples

محمد بن عدي^{*1}

¹ جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، mohammed.benaddi@univ-tlemcen.dz

تاريخ القبول: 2025/12/14

تاريخ الإرسال: 2025/02/28

ملخص

يعتبر التصوف من المواضيع المهمة والتي احتلت مساحة كبيرة في تراثنا الاسلامي، نظير الزخم الثقافي الذي خلفه فكراً وتالياً وممارسةً، أين أسال حبر الكثير ولا يزال، فالكثير من الباحثين مازال يتردد بين الإعلاء من قيمة هذه الظاهرة الدينية وبين الحط منها. وربما هذا يعود إلى أنها مرتبطة بميول النفس البشرية وأهوائها، ومن لم يستطع التخلص من ذاتيته والحكم على الأشياء بعيداً عن الأهواء والمنطلقات والخلفيات.

لا يختلجنا الريب، في أن تلمسان هي إحدى الحواضر الجزائرية التي عرفت انتشاراً لظاهرة التصوف إبان العصور الوسطى، وتواصلت بها تلك السمة حتى مع الحقب التاريخية على عهد العثمانيين، سواء في قلب مدينتها أم في نواحيها ومدارها وقراها وأرباضها، فقد أطلعنا الكثير من النصوص والدراسات التاريخية أن هذه المدينة، شهدت ظهور العديد من الأعلام والعلماء الصوفية ورجالها، اشتهروا به من كرامات وخوارق أفراداً كانوا أم بيوتات علمية بكاملها آنذاك، الذين تأثروا وأثروا في هذا الحقل، فكانت من أبرز الظواهر الاجتماعية التي طبعت الحياة الدينية والثقافية فيها.

كلمات مفتاحية: الكرامة؛ المناقب الصوفية؛ منطقة تلمسان؛ زمن العثماني؛ ابن الصائم.

Abstract

Sufism plays a pivotal role in our intellectual heritage, recognized for its complexity and influence within cultural and religious discourse. The study of Sufism remains contentious, with scholars often divided between emphasizing its importance and diminishing its impact, a dilemma influenced by its deep connection to human desires and tendencies.

This ambivalence is compounded by personal biases, making objective analysis challenging. Tlemcen, a key Algerian city, stands as a significant site for the spread of Sufism during the medieval period, especially under Ottoman rule. The city's history is rich with prominent Sufi figures and scholars, known for their miraculous deeds, who contributed to the cultural and religious fabric of Tlemcen. Their legacy is reflected in both the city's spiritual life and its broader influence on the surrounding regions, marking Sufism as a crucial social phenomenon of the era.

Keywords: dignity; Sufi virtues; Tlemcen; Ottoman period; Ibn al-Sāim.

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة

إنَّ الأحداث والتطوّرات المتلاحقة التي عرفتها مدينة تلمسان المحروسة ونواحيها إبان العهد العثماني، جعلت النخب المتصوّفة يأخذون مكانة رمزيّة متميّزة وثقل معنوي ملحوظ ضمن النسيج الاجتماعي لا سيّما عند شريحة العامّة، فقد تمكّنوا من ربط جسور متينة بينهم وبين عناصر المجتمع، الذي كان يرى في علمائه ومتصوّفته الملاذ الآمن، والحل النّاجع لما كان يعانيه من أزمات واضطرابات سياسيّة وعسكريّة منذ الربع الأوّل من القرن 16م، أدّى إلى التّأثير السّلي على واقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافيّة فيها.

أين شهدت الحركة الصّوفيّة، تغلغلاً وترسخاً بتعاليمها وسط عامّة النّاس بفضل أدوار المتصوّفة، الذين تمكّنوا من إقناع النّاس بأفكارهم وسلوكياتهم التي تقوم على التّقشف والعبادة والصبر والتّواضع، فقد رأينا من خلال هذه الدّراسة احتكاك هؤلاء المتصوّفة بأطراف المجتمع، ومتحمّسين لشواغلهم وأوضاعهم السياسيّة والاجتماعيّة، باعتبارهم السند الكبير الذي اتكأت عليه العامّة، والطبيب الاجتماعي الذي استنجدت به، والمُخلّص الذي لجأت إليه، ومن تمّ فقد لقي الفكر الكرامي- الصوفي صداه في المخيال الجمعي، وهذا بالنّظر إلى مواقفهم في مُختلف الأحداث التي وقعت في تلمسان. وهذا ومن دون شك فإن هذا التّيار الصوفي أثر كثير في الحركة العلمية والثقافية في تلمسان ونواحيها في العهد العثماني، لكن استمرار الغلو جعله يميل ويخرج عن صوابه، وجادته وهدفه، فحلّ الجهلة والانتهازيين وشيوخ الدّجل والدّروشة، وفقد التّصوّف والمتصوّفة مكانتهم في المجتمع التلمساني في هذه الفترة، أين ساهمت فانتكاس الحركة العلمية في هذه الحاضرة.

ومن هذا المنطلق، عرفت أقطار المغرب العربي التّصوّف في الخمسية الهجرية الثانية، عندما وصل هذا التّيار إلى علمائه بواسطة الهجرات، ونسخ المخطوطات وإرسالها إلى هذه الأقطار، أو إحضارها عن طريق قوافل التجارة والحج التي كانت ترحل إلى المشرق العربي، ناهيك عن توجه الوفود تلو الأخرى من العلماء إلى تلك الديار الإسلاميّة التي كانوا يمرون عليها في رحلاتهم إلى الديار المقدسة، وذلك كلّه أتاح لهم الالتقاء بشيوخ اتّخذوا من التّصوّف مذهباً ومن الزهد لباساً روحياً. ومن ثمّ، أجمعت أقلام المؤرخين على أنّ نشأة التّصوّف في المغرب العربي تعود إلى النّصف الثاني من القرن الثالث الهجري، ولعلّ أنّ التّصوّف في المغرب العربي شأنه شأن التّصوّف في المشرق العربي مع وجود اختلافات فيما بينهما، فهو ذلك الاتجاه الفكري الدّاعي إلى إخلاص النية لله في العبادة وتطهير النفس البشرية من الأدّار والأمراض الباطنية، الدّاعي إلى الوصول إلى مقام الإحسان وإلى المبدئ الأساسي عند الصّوفيّة ويتعلق الأمر "بالولاية والكرامة"، حيث اشتهر من أنواعه اثنان رئيسيان: التّصوّف السني والآخرفلسفي.

كرامات ومناقب صلحاء وأولياء تلمسان خلال العهد العثماني من خلال إنتاجهم الصوفي (قراءة لنماذج).

ويلاحظ أنّ إنتاج علماء إيالة الجزائر في علم التصوّف كان غزيراً للغاية، ويرجع المؤرخين ذلك إلى سيطرة التصوّف على الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية في الإيالة خلال العهد العثماني، وحتى العسكرية عندما تمّ إدراج راية الشيوخ المتصوّفة وطريقتهم ضمن راية الدولة الجزائرية خلال الحروب والمعارك ضدّ الكفار من الدول الأوروبية.

وعن الإنتاج الصوفي في تلمسان ونواحيها تميّزت بدورها - كبقية الحواضر في إيالة الجزائر - التي عرفت انتشار ظاهرة التصوّف، أين ساهمت في إثراء التجربة الصوفية، والتي فصلّ فيها "أبو القاسم سعد الله" وذكر أنّ ذلك الانتاج يندرج ضمن مجال " المناقب الصوفية"، التي تظهر حياة المتصوّفين وتبرز فضائلهم. لأنّ المناقب هي الفضائل. فلا غرابة عندئذ أن تجد الكرامة صداقياً في نفوس شريحة اجتماعية عريضة وقبولاً في مخيالها وإقداًماً في سلوكياتها داخل المجتمع التلمساني إبّان العهد العثماني.

وسنحاول في هذه الدّراسة أن نرصد نماذج من مناقب وكرامات هؤلاء العلماء والأعلام من خلال تأليفهم في ميدان التصوّف السني خاصّة، بمدينة تلمسان ونواحيها خلال هذه الفترة، فضلاً عن كيفية تعامل المجتمع التلمساني مع هذه الكرامات والمناقب، وفيما تتمثل أدوار هؤلاء الصلحاء والأولياء ووظائفهم ومكانتهم في أعين العامّة والخاصّة، وفيما تجلّت مظاهر هذه الخوارق على ضوء النصوص الكرامية بتلمسان خلال هذه الفترة.

بناءً على هذه الطّروحات المتتالية اعتمدنا في هذه الدّراسة على المنهج التّاريخي القائم على استقرار وتحليل مختلف النصوص التّاريخية المستقاة من مصادر متنوّعة وذلك لتقييم ما جاء فيها بشكل يعالج إشكالية البحث ويتماشى مع أهداف الدّراسة، للوصول إلى نتائج تخدم الموضوع، انطلاقاً من تسمية المدينة بعد التحوّل الذي طرأ عليها، وتبعيّة جغرافياً وسياسياً لإيالة الجزائر، والوقوف علاوةً على أهم النّصوص الكرامية بتلمسان خلال العهد العثماني من خلال تأليف أوليائها وإنتاجاتهم الفكرية، وهو أساس ارتكزنا عليه لتطويق وتسييج مسعى هذه الدّراسة. كل ذلك سنبرزه في ثنايا هذا العرض التّاريخي.

2- تحول التّسمية من حاضرة تلمسان إلى المحروسة تلمسان

لقد كانت مدينة تلمسان من ضمن المدن التي ألحقت بدار السلطان (مدينة الجزائر 962هـ/1554م، وباتت تدعى بـ "المحروسة تلمسان" على عهد العثمانيين (بوخالفة، 2011، صفحة 24). فكثيرون هم علمائها الذين أوردوا ذكرها في هذه الفترة تحت هذا الاسم، وفي هذا الصدد، نشير إلى ما جاء عند "المفري"، قائلاً: (...) وباب جياذ التي أشار إليها هي إحدى أبواب تلمسان المحروسة (التلمساني، 1980، صفحة 229) (...) وهو ما نلاحظه جديد في مخطوط "متن العقائد. أو الحاشية المسماة بكتاب الدرر الفايق في جمع الحقائق و الله تعالى أعلم" المحفوظ بمكتبة

مخطوطات الأزهر الشريف (مجموعة علماء مدينة تلمسان المحروسة، رقم 47494)، والذي تقر في واجهته بعد العنوان تأليف مجموعة علماء المحروسة تلمسان، وبالتالي كانت هذه التسمية منتشرة في ذلك العهد على نطاق واسع، ويمكن جدا أنها كانت تسمية رسمية مثلما كانت عليه مصر المحروسة، تونس المحروسة... وغيرهما من الأقاليم العربية والعجمية التي كانت تحكم العثمانيين، السيد "قارة مُحَمَّد باي تلمسان المحروسة"، والذي ورد ذكره بهذا اللقب في وثيقة محفوظة بالمركز الوطني التونسي قام بنشرها "خليفة حماش". (خليفة حماش، 2016، صفحة 350)

وهي التسمية التي اشتهرت بها كذلك نخبة تلمسان مع مطلع القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر ميلادي، منهم قاضي التركات بالمحروسة التلمسانية العالم الفقيه السيد الحاج محمد ابن أحمد بن الحاج التلمساني (كان حيا قبل سنة 1217هـ / 1802م)، فيما ورد في وثيقة أرشيفية تضمنت نتائج محضر قضائي ترأسه العلامة المذكور في شكل جلسة قضائية تناولت قضية سرقة بالمدينة المحروسة كما نُعتت في الوثيقة المذكورة. (الوثيقة رقم 8، المجموعة 2316، 1217هـ / 1802م)

تبعية تلمسان الجغرافية والسياسية لإيالة الجزائر:

وفي هذا الإطار لم تخرج هذه المدينة عن "وجع الجزائر" المحمي من طرف الإمبراطورية العثمانية، والتي كانت أقصى امتدادًا لها نحو الغرب، تلمسان وضواحيها الغربية إلى ما وراء نهر ملوية، كنقطة التماس بين الجزائر والمغرب الأقصى، وقامت الإدارة العثمانية رفقة الباب العالي بتحديد الحدود بينها وبين شرق مملكة السعدين وبعدهم العلويين، حيث وضع ذلك عالمها "ابن الصايم" الذي عاشتها في فترة حكم الباشوات والأغوات، وأشار إلى تبعيتها السياسية لدار السلطان كما سماها مملكة العجم وهو يقصد "مملكة الترك" (ابن الصائم محمد بن سليمان، 11هـ / 17م، صفحة الوقعة/119) وذلك ما حدّده "Aranda" كذلك الذي كان أسيرًا في إيالة الجزائر سنة 1050هـ / 1642. (Emanuel A، 1662، صفحة 63)

هذه الملامح العامة للتطوّرات التي شهدتها تلمسان على عهد العثمانيين، إذ لا يمكن فهمها بتعمّق دون تتبّع كرونولوجية الحوادث التاريخية، التي صنعت المعالم الحضاريّة لهذه المدينة في الفترة الحديثة، بدايةً بالجانب السياسي ومدى ارتباطه بمختلف المجالات الأخرى، وفي مُقدّمها المجال الثقافي، الذي يمثّل موضوعنا أحد فروع الأساسيّة.

كرامات ومناقب صلحاء وأولياء تلمسان خلال العهد العثماني من خلال إنتاجهم الصوفي
(قراءة لنماذج).

3- تعريف التصوّف

التصوّف هو طريقة يتّبعها المتصوّفة (سبنسرتر منجنهام، 1997، صفحة 22)، وهي تُطلق على السيرة، والمذهب، والحال، ويعرفها أحد المتخصصين في تاريخ التصوّف، بأنّها السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى. (السهلي، 2005، صفحة 09)

3-1- لغة

اختلف الباحثون في أصل كلمة التصوّف واشتقاقها على عدّة أقوال، ندرج أهمها:

التصوّف مشتق من " الصفاء " أي أنهم سموا الصوفية لصفاء أسرارهم وشرح صدورهم (أبو بكر محمد الكلاباذي، 1993، صفحة 09)، وهو ما نجده عند الكثير من أعلام المتصوفة من أمثال الإمام الغزالي وابن عطاء السكندري وغيرهما. (بوغديري كمال، 2014- 2015، صفحة 150)

التصوّف مشتق من " الصف " أي سموا لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجلّ بارتفاع همهم إليه وإقبالهم بقلوبهم عليه. (السهروردي، 1998، صفحة 65)

التصوّف مشتق من " الصوف " (الهوجويري، 1980، صفحة 227) فيقال تصوّف إذا لبس الصوف كما يقال: تقمص إذا لبس القميص، وقد اختار هذا المفهوم أغلبية مؤرخي التصوّف منهم "سراج الدين الطوسي" و" أبو بكر الكلاباذي " و" ابن القيم " و" ابن خلدون " و" ابن تيمية " (بوغديري كمال، 2014- 2015، صفحة 151).

3-2- اصطلاحاً

يعرّفه الإمام الجنيد القواريري بقوله: "هو أن يملك الحق عنك ويحييك به" ومعنى يملك عنك: أي عن نظرك لنفسك ويحييك به أي بذكره ومناجاته. ويواصل الجنيد أيضاً: التصوّف هو: أن تكون مع الله بلا علاقة. وقيل التصوّف هو الدخول في كل خلق سيّ، والخروج من كل خلق دني. والخلق السيّ هو الخلق الرفيع كالورع والزهد والتوكل والرضا... الخ والخلق الدني كالرياء والعجب والكبر والحسد وسوء الظن. (أحمد بن أحمد بن عجيبة الحسني، 1913، صفحة 04)

وقد وجدنا تعريفاً آخر مختصراً للتصوّف بقول: "التصوّف هو التخلّق بالأخلاق الإلهية" (لشايف عكاشة، 1994، الصفحات 86-87)

وتأسيساً على ما سبق ذكره: أنّ المقصود بـ " التصوّف " من خلال هذه المفاهيم هو ذلك الاتجاه الفكري الداعي إلى اخلاص النية لله في العبادة وتطهير النفس البشرية من الأدراّن والأمراض

الباطنية، الداعي إلى الوصول إلى مقام الإحسان وإلى المبدئ الأساسي عند الصوفية ويتعلق الأمر بالولاية (كمال الدين عبد الرزاق القاشاني، 1981، صفحة 54) والكرامة. (ابن منظور، 1990، الصفحات 406-407).

4-الكرامة الصوفية بمنطقة تلمسان من خلال النصوص التاريخية لعلمائها وأوليائها زمن العثمانيين

سبق وأشرنا أنّ موضوع الإنتاج الصوفي في تلمسان إبان الفترة المدروسة، تميّز فيها بإنتاجاته الدينية والفكرية على حد سواء، وذلك بتعدد مواضيعه خاصة التي تناولت أعمال العلماء والصلحاء والتي فصل فيها أبو "القاسم سعد الله" وذكر أنّ ذلك الإنتاج يندرج ضمن مجال " المناقب الصوفية" التي تظهر حياة المتصوفين وتبرز فضائلهم (سعد الله أبو القاسم، 1998، صفحة 112) لأنّ المناقب هي الفضائل. واستناداً إلى هذه الفكرة، أورد " دوتي" في كتابه "الصلحاء" أنّ عدد الصلحاء يزداد كلما اتّجهنا نحو الغرب، وما بالك بتلمسان ونواحيها المنيّة كلّها بمقابر الصلحاء، إلى درجة أنّنا لا نكاد نتقدم مسافة معينة حتى نجد قبباً عديدة منها. وهي شهادة أدلى بها يمكن التّأكد من صحّتها من خلال ما أورده العالم "ابن مريم" في "البستان" عن العدد الكبير لأولياء تلمسان وفقهائها، إذ قال: "وأما أولياء تلمسان وفقهائها لا يقدر أحد على إحصاء عددهم لكثرتهم، نفعنا الله بهم، ولورمنا استيفاء ذكرهم لضاقّت الدفاتر عمّا انتهى إلينا خبرهم رضي الله عنهم أجمعين" (ابن مريم المديوني التلمساني، 2014، صفحة 507) ومن هذا المنطلق، انجذب المجتمع التلمساني لكرامات علمائه وأوليائه، لأنّها تقدّم له أملاً في حياة أخرى مغايرة لواقعه المتأزّم، مسهّماً في تطيب آلام هذا المجتمع، في ظل غياب السّلطة وعجزها عن تغطية كل متطلّباته.

ومن بين هذه التّأليف، تأليف العالم الرحالة "عيسى بن مُحمّد اليحيوي الراسي البطوئي" (كان حيّاً بعد سنة 1046هـ/1636م)، "مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح" الذي ألّفه صاحبه عن حياة الأولياء والعلماء والصلحاء خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر ميلادي، وخصّص جزءاً كبيراً منه في سيرة متصوفة تلمسان، باعتباره قد مكث في هذه المدينة لطلب العلم من هؤلاء المتصوفة مدّة سبعة عشر سنة (محمد بومدين، 2022، صفحة 47_59)

ومن علماء تلمسان الذين كتبوا في المناقب المتصوّفة "أبو عبد الله مُحمّد بن سليمان الجازولي" الذي ألّف كتاب "كعبة الطائفين وبهجة العاكفين على قصيدة حزب العارفين" وهو مجلد كبير أسّس على شرح قصيدة "حزب العارفين" لشيخه "موسى اللّالتي التلمساني". وأورد فيه مناقب شيخه بدرجة كبيرة، على جانب مناقب غيره من العلماء المتصوفة وأخبارهم في القرن

كرامات ومناقب صلحاء وأولياء تلمسان خلال العهد العثماني من خلال إنتاجهم الصوفي (قراءة لنماذج).

الحادي عشر الهجري/ السابع عشر ميلادي. وكان منهج "ابن الصائم" في تأليفه هذا لا يخرج عن الحكايات الصوفية و الأساطير التي تميز بها المتصوفة، مثل الخوارق، و المشاهدات، والمكاشفات (حمدي أمين، 2000، صفحة 86)، وغيرها... وفيما يذكره المؤلف أنّ شيخه "موسى اللّاتي" جاء من "ولهاصة" قاصداً حرم أبي مدين لينزل بالعباد، كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤية رآها يقول المؤلف: "وسبب اجتماعي بالناظم "موسى اللّاتي" في جامع الزاوية المذكورة - زاوية سيدي أحمد العبدون - بـ" أوزيدان" أنّه رحل من ساحل ولهاصة قاصداً حرم أبي مدين لينزل بالعباد، كما أمره بذلك المصطفى سيّد العباد... وأولاده هناك" (محمد بن سليمان، 11هـ-17م، صفحة 02) ويُشير المؤلف إلى أنّ شيخه بلغ درجة "القبطانية" (حمدي أمين، 2000، صفحة 85) في التّصوّف، والمؤلف يُسبِّلُ عليه كثيراً من عبارات التّبجيل التي تُحي بسمو منزلته وعلو كعبه في التّصوّف كقوله: "أنشدنا شيخنا وبركتنا وقدوتنا سيدي موسى بن علي أفاض الله عاينا من أنواره" (حمدي أمين، 2000، صفحة 243)

نقل المؤلف عن شيخه كثيراً من الكرامات والمرائي في صفحات عديدة من كتابه، وكان يعتبرها من المنح التي خصّه الله بها، ودليلاً على صدق توجّهه وصلاحه وتقواه.

من كراماته، ما تنبأ من أحداث داميّة وقعت بتلمسان، وتعرف بثورة السوسي (1038هـ-1629م)، أين أنذر الشيخ اللّاتي تلميذه وأخبره بأن يرحل منها رحيل العافية"، لكن "محمّد بن سليمان" تردّد في الخروج إلى أن وقعت الواقعة، بقول في هذا الموقف " طلبت الرحيل، فلم أجد مخلصاً واعتذرت للعامة... وفقرت بديني إلى البادية حتى قضى الله ما قضى ومات القائم - أي محمد بن أحمد السوسي زعيم الثورة- ومات من الخلائق ما لا يحصى" (قيداري قويدر، 2012-2013، صفحة 11)

ومن كراماته أيضاً، ما تقدّم به المؤلف حينما كان في إحدى سفريّاته بالصّحراء، حيث اعترضه (أولاد بن طلحة) فنهبوا سلعته، ولم يتركوا له غير فرسه، فقرأ قصيدة شيخه اللّاتي ونام، وفي الصّبيحة وجد أنّ الغاصبين قد ردّوا عليه سلعته ببركة الشيخ وكلامه (محمد بن سليمان، 11هـ-17م، صفحة 10)

ومن ذاك أيضاً، أنّه مرض مرضاً شديداً لكنّه بقي يتعهّد قصيدة شيخه، فوقف عليه في المنام وقد غمره بالحنان والعطف، وتعانقا تعانق الشائق للمشوق، يقول المؤلف: " وأنا أمزّج وجهي على صدره ونحره، وأقول: حبيبي، سلبتني وسلبت روحي، وسلبت عقلي، يا سيدي موسى ... حتى انتهت بذلك مسروراً مرعوباً، ووجدت الدموع على خدي، فسهرت ما بقي من ليلي، وشفاني الله ببركة ذلك" (قيداري قويدر، 2012-2013، صفحة 11) وهنا يتجلى دور الأولياء

والعلماء بوضوح في علاج الأمراض والعاهات المستعصية، في ظل انحسار دور الأطباء وعجزهم عن علاج بعض هذه الأمراض، فحلّت بركة الولي وكرامته محل الدواء المركب، أي حل العلاج الروحي محلّ العلاج المادي.

يُطلعنا المؤلف أنّه شبّك أصابعه بأصابع "سيدي العبدلي" دفين البلدية التي تحمل اسمه الآن (بلدية سيدي العبدلي) بتلمسان، ومما نقله في مناقب شيخه العبدلي من الشعر الفصيح:

بدأت بعبدٍ للاله أضافه	إليه وفيه للشّدائد مدفعُ
برور توود ورأي مُسَدّد	ونقلٌ وعقلٌ في المعارف يرتعُ
بإخلاصه فاق المعاصر قُطُبهم	إمام الهوى يُحي الجحى مُتورّعُ.

(ابن الصائم محمد بن سيلمان، 11هـ/17م، صفحة 294)

ومن الانتاجات الفكرية في باب الكرامة والمناقب، يُشير إلينا صاحب مخطوط "كعبة الطائفين" إلى الشيخ "بلقاسم بن موسى بن صابر"، وهو من علماء التصوف بتلمسان، كان يُدرّس كتب الصوفية في بيته بالعُباد. (عبد المنعم الحسني، 2005، صفحة 412) إذ يقول:

"...فأتيته ودخلت عليه، وسلمت وجلست بين يديه...، في سنة سبع وخمسين (سنة 1057هـ/ ...) عاشرته بل جاورته عدّة أشهر، فتحقّقت تزكية الشاهدين".

نظّم المؤلف قصيدةً في حقّ شيخه بن صابر، يلخّص فيها بعض مناقبه وخصاله، نجتزأ منها الأبيات التالية:

نظّرت رجال الوقت للصُحبة التي	تواصى بها كذا ومن له يُرجعُ
نوالي وليّاً لا يضيعُ عهدُه	ويجلّب لي الخيرات والشر يدفعُ
نعمّا عروسٌ رام قلبي ولاءه	بعد استخارة والقصد مُهيّعُ
صبرت إلى أن تأذى من غير مُخبر	يُترجم عن سري له وهو يركعُ
صرفت إلى الشيخ الذي بان فضله	وعنبره سرّه من المسك أطوعُ
صلاتي تواصلت بسلسة الهدى	على يد مُقتدى إمام سُميدعُ

إلى أن يقول:

ضياءُ لبّه يكسوه ثوبُ جماله ترى وجهه يزهو ونوره يلمعُ

عنيّت بما قلنا أبا القاسم المكيّ بطيرٍ إذا غنى له الروحُ تسمعُ (ابن الصائم محمد بن سيلمان، 11هـ/17م، صفحة 17)

كرامات ومناقب صلحاء وأولياء تلمسان خلال العهد العثماني من خلال إنتاجهم الصوفي (قراءة لنماذج).

ويتبين ممّا ذكرناه مكانة "ابن الصائم" في التصوف، فهو متصوف، ومؤلف، وشارح، وجامع لأخبار الأولياء والصلحاء لذلك فهو يعد مصدراً هاماً عن حياة التصوف في تلمسان خلال القرن المذكور، ومكمل من جهة أخرى لأخبار التصوف ورجاله العلماء في بدايات هذا القرن بتلمسان "لأبي عبد الله مُحَمَّد ابن مُحَمَّد ابن أحمد ابن مريم المديوني"، الذي ألّف كتابه المشهور بـ "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" وهو التأليف الذي ذكره تلميذه البطوي بعنوان آخر وسماه "البستان في مناقب أولياء تلمسان" وقال أنّه كتاب في "مناقب الصلحاء". وذلك أصح، حسب ما علّق عليه "أبو القاسم سعد الله". (سعد الله أبو القاسم، 1998، صفحة 120) والذي جمع فيه أخبار متصوفة تلمسان وعلمائها وسيرهم بمنهج غير منهج "ابن الصائم"، حيث اتبع "ابن مريم" منهج يسير على ذكر شيوخه وشيوخ شيوخه وتلاميذهم، لذلك جاء كتاب "البستان" في المعلومات التاريخية عن علماء منطقة تلمسان، غير أنّ بعض المؤرخين أكدوا أنّ "ابن مريم" كان متعلقاً بالتصوّف أكثر من تعلّقه بالعلم، واستدل بعضهم على أنّ مؤلفات العالم المذكور كلّها في التصوف وفروعه. (سعد الله أبو القاسم، 1998، صفحة 118)

أضاف الشيخ عيسى بن محمد بن يحيى الراسي البطوي (محمد حجي، (د. ت)، صفحة 54) (ت: بعد 1630) كتاباً في التراجم والسلوك لمشايخ الرّيف الشرقي عنوانه "بمطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح"، الذي مكث مدّة طويلة بالغرب الجزائري (ذكر تلمسان وتراة ومجاجة) قضائها في السياحة والتحصيل حتى تفقّه في كلّ فنّ، حيث تطرّق إلى تسعة عشر شيخ جزائري نهل منهم، مُنّوها بالشيخ ابن مريم المديوني المليتي صاحب "البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان"

(البطوي عيسى بن محمد يحيى الراسي، 2000، الصفحات 45-46)

كان من أكابر الأولياء، ومن أهل الخير والصلاح، قليل التصنّع، صاحب الكرامات العلية والأحوال المرضية، مؤثراً في الاقتصاد منقبضاً عن النَّاس، مكفوف اللسان واليد، منشغلاً بما يعنيه، مستقيم الظاهر، ساذج الباطن، منصقاً في المذاكرة حريصاً على الإفادة والاستفادة، مثابراً على تعلم العلم وتعليمه في كثير من العلوم العقلية والنقلية، واطلاع وتقييد ونظر، عارفاً بالبخاري يقرأه للنّاس في الجامع الأعظم. (عبد المنعم الحسني، 2005، الصفحات 261-262)

كان يسبح في التّهار فلا يدري أحد أين يذهب، وكان في ابتداء أمره يتعبد في مسجد "ستي الوصلية"، وبعد ذلك كان يتعبد في غار "بوهناق". توفي بالمدينة المنورة، ودفن بالبقيع (القاسمي، 2005، الصفحة 362-363).

بالرغم من المشاركة الحيوية لأولياء مدينة تلمسان ونواحيها إبان العهد العثماني في جميع جوانب الحياة، إلا أنّ الجانب الاجتماعي كان له نصيب من هذه المشاركة فقد وظّف الأولياء كراماتهم وقدراتهم الخارقة لخدمة مجتمعهم، فقد أورد لنا "البطوئي" جانباً من العلاقات القائمة العضوية العلميّة، كانت قد نشأت بين مدشر تيزي عدنيت ببطوية والحناية (فاطمة الزهراء نجرابي، 2017-2018، صفحة 53) بتلمسان، ممّا كان له الأثر على تبني مسجد بني سعيد للاتجاه الصوفي التلمساني الذي جسّده "ابن مريم" ومثله "عيسى البطوئي" بالريف الشرقي، (الفكيكي، د.ت)، (صفحة 6) وتوضّح الفقرة المقتبسة من مطلب الفوز والفلاح هذا التّواصل بين المركزين بجلاء حين قال البطوئي: "قد منّ الله علينا بملاقات (كذا) الشيخ الإمام الصوفي الهمام فتمتعت النفس من مشاهدات ومن جميل لقائه تزودت منه ما ينفعني الله به دنيا وأخرى من جليل علومه وأحواله". وما يحملنا على تأكيد هذا وعلى استمراره هو وجود فقرة أخرى أدرجت ضمن مراسلة جوابية بعث بها محمد الصغير يُخبر فيها صديقه عيسى البطوئي بقوله: "مقام الأخ سدي عيسى...وكما ذكرتم في شأن مناقب السيد الوالد فإننا إن شاء الله مشتغل بها، تصلكم إن شاء الله، وسلم لنا على سيدي أحمد بن إبراهيم (الراسي) وعلى سيدي إسماعيل وعلى كافة إخواننا الطلبة". (البطوئي عيسى بن محمد يحيوي الراسي، 2000، صفحة 52)

أمّا الأمثلة التي تبرز الدور الاجتماعي للولي بشكل أوضح، كثيرة ومتنوّعة، أشهرها قضية الصلح الواردة عن صاحب "البستان" فيما خصّصه لترجمة شيخه أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن اليعقوبي من قبيلة "أولاد يعقوب بن طلحة"، وقد ذكر "ابن مريم" في شيخه أنّه يعقد الصلح بين القبائل، منها ما قام به بين "أولاد طلحة" فقال: "ومن كرامته ما حدثني به من يوثق به أنّه عقد الصلح بين أولاد طلحة..." (ابن مريم المديوني التلمساني، 2014، الصفحات 264-265)

ومن ذلك أيضاً، قضية الصلح التي وردت أخبارها عند صاحب "مطلب الفوز والفلاح" حول قيام شيخه "ابن مريم" بالمصالحة بين أهل "قرية الحناية" بقوله: "فإذا بأهل الحناية أتوه ليصلح بينهم، وقد كان ارتحل إمامهم، فرغبوه أن يؤم بهم بمسجدهم، قال: فخطر ببالي ما رأيته من منامه، فأجابهم ففرحوا بذلك فرحاً شديداً فبقي بينهم حتى أتاه أجله..." (البطوئي عيسى بن محمد يحيوي الراسي، 2000، صفحة 324). ويضيف عن شيخه "أبو العباس أحمد بن محمد بن المرابط بن ونيس الصحراوي التلمساني" (القرن 11هـ/17م) قائلاً: "ما رأيت عيناى خلقاً ولا خلقاً وانصافاً للحق واجتهاداً في إصلاح ذات بين المسلمين" (البطوئي عيسى بن محمد يحيوي الراسي، 2000، صفحة 24)

كرامات ومناقب صلحاء وأولياء تلمسان خلال العهد العثماني من خلال إنتاجهم الصوفي (قراءة لنماذج).

إنّ هذه المناقب قد مكّنت للشيخ من أن يكون أحد أقطاب التّصوف بمنطقة تلمسان إبّان العهد العثماني، فهو نموذج من العلماء الذين وهبوا كفاءاتهم وعلمهم لتوعية البوادي الريفيّة بما عزم عليه من محاربة البدع المنتشرة آنذاك بالبادية، ومن الوقوف في وجه كب من سولت له نفسه بانتحال التصوف عن جهل أو اعتقاد منحرف، فسار إليه للتعلّم ومجالسته لما ذاع صيته واشتهر بين العلماء والعامة في أوساط المجتمع التلمساني، فتبرك ببركته الكثيرون، وحمل عنه العلم مشايخ كان من أبرزهم الشيخ "سيدي محمد الندرومي".

وقد نقلت لنا كتب المناقب والتراجم نماذج عن كرامات وخوارق أولياء تلمسان وأحوالها إبّان العهد العثماني ومن ذلك، كرامة المكاشفة أي الاطلاع على الغيب، وقد اختص بها أغلب صلحاء وعلماء من أمثال: "أبو العباس أحمد الولهاسي التلمساني" (القرن 11هـ / 17م)، إذ قال فيه البطوئي: "ومنهم السيد الخمول صاحب المكاشفات ومعدن البركات سيدي أحمد الولهاسي رحمه الله تعالى ورضي عنه" (البطوئي عيسى بن محمد يحيوي الراسي، 2000، صفحة 24)، أيضا "العالم أحمد بن ثابت التلمساني" (ت: 1152هـ / 1739م) صاحب كتاب "الأذكار والأدعية" الذي كان زاهداً اشتهر بمؤلفه أيضا "التفكر والاعتبار في فضل الصلاة عن النبي المختار مُحمّد عليه الصلاة والسلام" الذي خصّصه في مدح الرسول أكثر من التّطرق لسيرته الكريمة" (محمد بومدين، 2022، صفحة 12، 24). نذكر كرامة العالم "أبي عبد الله مُحمّد بن محمد بن عبد الرحمان" المعروف "بالأدغم السويدي التلمساني" (توفي في حدود: 980هـ / 1572م)، الذي أخذ التصوف عن الشيخ سيدي "علي بن يحيي الجاديري" وأخذ الأذكار والوظائف والأدعية عن "سيدي علي بن يحيي كذلك" (ابن مريم المديوني التلمساني، 2014، صفحة 482) والعالم "أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمان ابن رحمة المطغري التلمساني" (ت: 1001هـ / 1592م) كان فقيهاً متصوّفاً، وولياً صالحاً، متبعاً لسنة رسول الله. وقد كان حسب "ابن مريم" ذكياً، قدوة سنياً، عارفاً على التحقيق في التصوف، حافظاً لحكم عطاء الله السكندري، التي أخذها عن "سيدي علي بن يحيي"، وجعلها وريداً صوفياً، وكان مداوماً على الوظائف والأذكار (ابن مريم المديوني التلمساني، 2014، صفحة 482)، إضافة إلى كرامة "تقليم الجن التي اشتهر بها" العالم أبي العباس أحمد بن عيسى الورنيدي الزكوطي أبركان التلمساني" (من علماء القرن: 11هـ / 17م)، الذي أدركه "البطوئي" في آخر عمره أول دخوله إلى تلمسان، مكتفياً بالقول إنّه تبرك بالجلوس معه، وقال عنه إنه بلغ القبطانية (ابن مريم المديوني التلمساني، 2014، صفحة 482)، وهي أعلى مراتب الصّوفيّة.

هذا؛ إلى جانب كرامة التصرف في الظواهر الكونية والأشياء وتحويلها من حالة إلى أخرى، وقد اشتهر بها العالم "أبي عبد الله محمد الشامي التلمساني" (من علماء القرن: 11هـ/ 17م)، الذي قال فيه "ابن مريم" أنه:

(...) كان عالمًا (...) متصوفاً والعالم أبي سعيد عثمان بن زيان المديوني التلمساني من علماء القرن (11هـ/ 17 م) الذي يعود له فضل تكوين "الحاج يحيى الورداني" الذي ارتحل إلى مدينة تلمسان ، حيث أخذ التصوف عن هذا الشيخ والعالم "أبي زيان بن أحمد الجرائي التلمساني" (من علماء القرن: 11هـ/ 17م)، الذي كان من المتصوفة المشهورين بتلمسان خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي حسب "البطوئي" الذي قال: (...) وقد كان رضي الله عنه اشتهر بتلمسان اشتهار لا يحتاج إلى تعريف، ومناقبه مشهورة عند الخاص و العام (...) (ابن مريم المديوني التلمساني، 2014، صفحة 120) والعالم أبي العباس أحمد المقرئ التلمساني (ت: 1041هـ/ 1641م)، الذي له قصيدة في الزهد : أولها

إلى كم تمادى في غرور وغفلة

وكم هكذا نوم إلى غير يقظة (يحيى ولد سيدي أحمد، 2011، صفحة 120)

كما كان الخوف من دعاء الأولياء المستجاب مقوِّماً أساسياً لسلطتهم وإحدى آليات ممارستها واستمرارها، فكتب المناقب والتراجم تـزخـر بالروايات التي تُعبّر عن ذلك، إذ كان يُلقب كل عالم ووليّ يحظى بالرفعة العلمية والدينية بكلمة "سيدي" (ادموند دوتي، 2014، صفحة 84)، وفي شأن ذلك يقول البطوئي: "فشاورت سيدي محمد (ابن مريم) فقال لي يا أخي الصبر خير لك، ومولانا يخلصك منها إن شاء الله، فاطمأن قلبي لكلامه، فلمّا وضعت حملها إذا به ميت، فحمدت الله، ففارقتهما وقصدته بالزيارة، فحين رأيته قال: الحمد لله ربّ العالمين". (البطوئي عيسى بن محمد اليحيوي الراسي، 2000، صفحة 32)

إلى جانب ذلك، كانت العامّة تستغيث بأوليائها وتحتفي بهم، يشير صاحب "الصلحاء" للمكانة التي اكتسبها "سيدي الطاهر المستغاني التلمساني" وأحفاده في المجتمع التلمساني خلال القرن 11هـ/ 17م، كونه من جهة إدريسي النسب، ومن جهة أخرى قد كان بخصاله الحميدة ينصر الحق ويشيع الأمن والأمان في صفوف الملتفين حوله-زاويته- (ادموند دوتي، 2014، صفحة 98) ونظراً للاحترام الذي يُحظى به الأولياء، نلاحظ أنّ الولي الصالح المنتسب لزاوية علمية معينة في تلمسان خلال العهد العثماني، كان يتحكّم في كل الحياة الدينية، حيث يتوسل به في كل الأشياء، ويفصل عند قبره بين الناس، ويسمي الأطفال باسمه، وكذلك الشأن بالنسبة لأهل

كرامات ومناقب صلحاء وأولياء تلمسان خلال العهد العثماني من خلال إنتاجهم الصوفي (قراءة لنماذج).

تلمسان الذين يُسمون أبناءهم كثيرًا " بومدين" تبرّكًا باسم الولي سيدي بومدين، دفين العبد.(Edmond، 1909، صفحة 74)

وهذه الروايات إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على مدى النفوذ الذي أصبح يتمتع به الأولياء وأصحاب الكرامات، في هذا الشأن يذكر "دوتي" هذه المرة نقلاً عن شهود عيان تلمسانيين في مقام تعرضه للسنوات التي درس فيها في مدرسة تلمسان، أنّه سمع عن تلامذته بالمدرسة المذكورة، يحكون عن الكرامات التي كان يعرف بها " سيدي بوسيف" وهو صالح من أهل القرن 11هـ/ 17م، لا يعرف أصله، حيث يستطيع في كل يوم في " بني صاف" أن ينبي الوافدين بأسمائهم دون رؤيتهم، حتى أنّه كان يعرف ماضيهم، ويُطلع كل واحد منهم على مستقبله. كانت حياته كما يحكيها الناس حسب استنتاجات "دوتي" مليئة بالخوارق، حيث استطاع صاحب الرحلة التّأكد منها (ادموند دوتي، 2014، صفحة 89).

وتأسيسًا على ما سبق ذكره، برصد كرامات وصلحاء منطقة تلمسان زمن العثمانيين، فقد أدّت زاوية عين الحوث دورًا هامًا في علمية التعليم والتثقيف عن طريق أوليائها، إذ بلغت أوج ازدهارها خلال القرنين السابع والثامن عشر ميلادي، حيث قامت بوظائف تعليمية وعلمية هامة، هذا إلى جانب نشاطها الصوفي الذي تميّزت به، إلّا أنّ مساهمتها الفكرية ظلّت حبيسة المخطوطات والوثائق الدفينة، وعليه يمكن لنا أن نشير أنّها كانت تمثل وبحق الفضاء الثقافي والاجتماعي والديني في المنطقة. من خلال بناء وتكوين شخصية المجتمع التلمساني بخاصة والمجتمع الجزائري عامّة في ظل القيم والمبادئ الإسلامية التي تتميز بها (محمد شاوش بن رمضان، 1995، صفحة 556)، فهي أماكن مقدسة يلجأ إليها الفرد ويعتصم بها، ومن أشهر الأشخاص الذين لجأوا إليها الشاعر الشعبي محمد ابن مسايب في سنة 1753/1060م، حيث كان وقتها "سيدي محمد بن علي" على قيد الحياة، أين كتب قصيدة مطوّلة خلال مقامه بحرم عين الحوث فرارًا من عقاب العثمانيين مطلعها " يا أهل الله غيثوا الملهوف".

نُحاول أن نقتبس منها الأبيات التي تُشير إلى صلحاء عين الحوث:

وَعَسَى تَحْضُرُ بَرَكَتُهُم	وَيَنْ أَهْلُ اللَّهِ كُلُّهُمْ
التُّهَامِي الْحَسَنِي سِبْطُهُ	مِنْهُمْ سَيِّدِي عَبْدُ اللَّهِ
صَاحِبُ الْبُرْهَانِ الْمَذْكُورِ	وَيَنْ الْحَوْتِي بَنَ مَنْصُورِ
قَالُوا لَوْ صَبَّأَهُ نَزُورُهُ	شَاعَتْ أَخْبَارُهُ فِي الْبُلْدَانِ
مَا يَرْوَحُ بِلَاشِ هَيْبَاتِ	كُلِّ مَنْ زَارِيَا سَادَاتِ
الْطُّفِ اللَّهُ يَهَيِّمُ حَمْدُوه (أبو عبد	بِهِ عَيْنِ الْحَوْتِ اتَهْنَاتِ

الله الحاج محمد بن أحمد المسايب التلمساني، 1989، صفحة 56)

في مُقابل ذلك، اختصّت الكرامة بالخصب والغلال في منطقة تلمسان ونواحيها، وكذلك الإطعام والنّهامة، وارتبط ذلك الوصف لغويا في استخدام السّنة والعام، حين تأتي كلمة عام للإشارة على الرخاء (الصّابة) والخير، وفي الدّعاء قصد حصول النّماء، وكأنّ الثنائية تجلّي جدلية الحمد والشكر. فالكرامة رغم أنّها لا تصدر إلّا من كريم، فهي تشرق الإنسان نحو الأمل، تلتمس المخارج الاجتماعية معقدة عن طريق تطّاعات رمزيّة وحلول جاهزة تتجاوز العقل البشري. سُيّ المنتسب إلى الطريقة بالفقير احتقارًا للنفس، وتركيزًا على رجاء الاستغناء بالخالق عن المخلوق، ورموزًا بالخرقة إلى التقشف والانتساب (رريب الله حاج أحمد، 2002، صفحة 45). تكرار الفقرة كلها من المقدمة وجب حذفها من المقدمة أو المتن.

فمن الطقوس الصّوفية التي لم تأخذ حقّها من الدّراسات هي القصعة أو النصفية أو المترد كما عند أهالي تلمسان ونواحيها، (تُسمى الفريجة عند أهل الصحراء) لم تكن مخصصة بوليمة من الولائم كانت تُحضّر ويُهدى كمأدبة لطلبة الزاوية، وهي تحضير جفنة كبيرة من الكسكس (الطّعَام) فارمة تسرّ الناظرين بكلّ صنوف ما لذّ وطاب حسب المستوى المادي لكل أسرة، فالعرب تقول : " ادع إلى طِعامك من تدعو إلى جِفانك" أي استعمل في حوائجك من تخصه بمعروفك ثمّ تطرّزت هذه الشعيرة الصوفية إلى شعيرة اجتماعية، حيث صارت تُهدى للعروس والعائد من الحجّ.(رريب الله حاج أحمد، 2002، صفحة 46)

فالفقير أو الدرويش ليس من لا يستطيع أن يفعل شيئا ولا يملك شيئا في ذاته، فذاك المُفلس، لكن لدى الفقير كل القوى الموهوبة من الله وأوامره لا يمكن إلغاؤها. إنّ حقيقة الفقر ألا تفتقر إلى من هو مثلك، فالفقير هي تلك الوسيلة العملية المطلوبة التي تُقشّش القلب ممّا تلتخ من دنس، التماسًا للصّفاء، افتقارًا إلى الله وانكسارًا بعد توبة ورجاء في عفو وتطلّع إلى استقامة. فالفقير هو افتقار النّفس بالفطرة لربّها بالعبودية، المتمثّل في تلك الحاجة الأبديّة الملحّة إلى عفو الله تعالى. وقد يكون معناه مشتقًا من كلمة الفُقرة وهي القُربة، كما يرتبط معناه ومجراه بالتّصفية والتّطهير.

وقد امتدّت التّسمية لتشمل فئة من النّساء اختصاصن بمدح النّبي ليتبوأنّ مقامًا في المجتمع يُطلق عليهن اسم الفقيرات خاصّة في المدن الكبرى لاسيما تلمسان وترارة وأولاد رياح يقيمُن بتنشيط مناسبات الأفراح والأعياد.

5-خاتمة

من خلال ما تمّ بسطه على ضوء هذه الدّراسة، أمكننا الوقوف على بعض النّقاط، نسجّل نتائجها بإيجاز فيما يلي:

كرامات ومناقب صلحاء وأولياء تلمسان خلال العهد العثماني من خلال إنتاجهم الصوفي (قراءة لنماذج).

يُعد التصوّف السني من بين العلوم المهمة التي أخذت نصيباً وافراً من مسيرة علماء تلمسان، فقد تناولوه بالممارسة الروحية، والعلمية، والتعليمية، والتأليف، وبلغ بعضهم درجة القبطانية كما أشرنا إليها سابقاً بشهادة تلامذتهم وحتى شيوخهم، فكانت نوعتهم صوفية في تدوين أثرهم العلمي والفكري في العلوم الشرعية، أين تجلّى ذلك بشكل أساسي في إنتاجاتهم الصوفية، بل وبلغ بهم الأمر أن توجهوا إلى علم المرآئي الذي هو أكثر عمقاً من التصوّف، فيما تعلق بالحياة الروحية والدينية لعلماء ذلك العهد، بما فيهم العالم التلمساني الذي بات مثل غيره من علماء وصلحاء عصره يتغنى بمشاهداته للرسول صل الله عليه وسلم، في النوم واليقظة، وحتى من باب الكرامات.

أبانت هذه الدّراسة النّص الكرامي-المنقبي، بكلّ آلياته وفنونه ومقوماته، عند الأولياء والصلحاء التلمسانيين والمنبعث من سلوكهم والمُترجم لأفكارهم وأيديولوجيتهم في المخيال المجتمعي، بات مسلماً به عند شريحة اجتماعية عريضة، اتخذته متنفساً عن كروبها الاجتماعية والصحيّة والأخلاقية وأزماتها السياسية والاقتصادية، واستأنست به للتخفيف من وطأة المعاناة التي أفرزتها الأوضاع العامة في تلمسان إبان العهد العثماني، فكان بذلك السند الاجتماعي والديني القوي، والركيزة الأساسية لتجاوز ويلات المحن والأزمات التي طالت المجتمع التلمساني خلال هذه الفترة، خاصّة في القرنين السادس عشر والتاسع عشر... فشكّل بذلك السفينة المتينة التي فضّل ركوبها لبلوغ برّ الأمان وتحطّي أزماته وتطبيب واقعه.

كشفت مختلف المصادر والنصوص التاريخيّة أنّ سلطة أولياء وصلحاء مدينة تلمسان ونواحيها، قد بلغت مبلغاً عظيماً، زمن العثمانيين، وذلك من خلال الإيمان بكرامتهم وخوارقهم، التي عدّت من أبرز الظواهر الاجتماعية التي طبعت الحياة العامّة للمجتمع التلمساني، على ضوء التأثيرات الفكرية والدينية والتاريخية، وعلى أساس أيضاً الانتساب القبلي والاعتقاد الروحي.

قائمة المراجع

اولا المراجع باللغة العربية

1. ابن الصائم محمد بن سلمان. (11هـ/17م). كعبة الطائفين وبهجة العاكفين، في الكلام على قصيدة حزب الله العارفين (المجلد 2، ج2). نسخة المكتبة الوطنية بباريس، قسم الشريقات، رقم (2460)، بروكلمان 1009 /02، باريس.
2. ابن مريم المديوني التلمساني. (2014). البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: تح: بوباية عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

3. شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ (ت: 1041هـ/1631م)، تحقيق، سعيد أحمد أعراب التلمساني. (1980). أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، (المجلد ج2): اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.
4. شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي. (1998). عوارف المعارف، ضبطه وصحّحه محمد عبد العزيز الخالدي. منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
5. ابن منظور. (1990). لسان العرب...، المجلد الخامس دار صادر، 1، بيروت، لبنان.
6. ادموند دوتي. (2014). ، الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغاربي في القرن التاسع عشر، تر: محمد - ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق. الدار البيضاء، المغرب.
7. البطوئي عيسى بن محمد الحيوي الراسي. (2000). مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح، دراسة وتحقيق: الفكيكي حسن: إصدارات مركز وطارق بن زياد للدراسات والأبحاث، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط.
8. أبو بكر محمد الكلاباذي. (1994). ، التعريف لمذهب أهل التصوّف، دار الكتب العلمية، ط2، القاهرة.
9. أبو عبد الله الحاج محمد بن أحمد المسايب التلمساني. (1989). ، دوانه، إعداد وتق: السحنوني الحفناوي أمقران وسيفاوي أسماء، المؤسسة الوطنية للكتاب، . الجزائر.
10. أحمد بن أحمد بن عجيبة الحسني. (1913). كتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم. مصر: المطبعة الجمالية بحارة الروم..
11. الهوجويري. (1980). كشف المحجوب، دراسة وترجمة وتعليق إسعاد عبد الهادي قنديل (الإصدار ط1): دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.
12. الوثيقة رقم 8، المجموعة 2316. (1217هـ/ 1802 م). ، الحامة، الجزائر. الجزائر: (قسم المخطوطات) المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة.
13. حمدي أمين. (2000). قاموس المصطلحات الصوفية: دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.
14. خليفة حمّاش. (2016). كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي. الجزائر: منشورات كلية الآداب و الحضارة الإسلامية، قسنطينة.
15. رريب الله حاج أحمد. (2002). ، شلف الأسفل إبان العصر الوسيط المتأخّر والعصر الحديث، بنو زروال بين المغربين الأقصى والأوسط أنموذج القبيلة المرباطية،، (الإصدار الطبعة 2): دار بن حمدة للطباعة والنشر، الجزائر.
16. سبنسر تر منجنهام. (1997). الفرق الصوفية في الإسلام: تر: النجراوي عبد القادر، دار النهضة، بيروت لبنان.
17. سعد الله أبو القاسم. (1998). ، تاريخ الجزائر الثقافي (المجلد ج2): دار الغرب الإسلامي، بيروت.
18. حمد حيي. ((د.ت)). الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين: منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب.

كرامات ومناقب صلحاء وأولياء تلمسان خلال العهد العثماني من خلال إنتاجهم الصوفي (قراءة لنماذج).

19. عبد الله دجين السهلي. (2005). الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها: دار كنوز للنشر والتوزيع، السعودية
20. عبد المنعم الحسني. (2005). القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى (دراسة احصائية تحليلية)، دار الخليل القاسمي، ط1، الجزائر.
21. محمد شاوش بن رمضان. (1995). باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
22. يحيى ولد سيدي أحمد. (2011). بيبليوغرافيا تلمسان 1400 عنوان الانتاج المعرفي لعلماء تلمسان على مدى 10 قرون: دار المعرفة للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر.
23. عزي بوخالفه. (2001). شواهد الاحسان على مآثر محروسة، دار السبيل للنشر والتوزيع، تلمسان، الجزائر.
24. كمال الدين عبد الرزاق القاشاني. (1981): إصلاحات الصوفية، تحقيق وتعليق محمد كمال إبراهيم جعفر. مركز تحقيق التراث، الهيئة العامة للكتاب.
25. لشايف عكاشة. (1994). الحضارة العربية الإسلامية بين التطور والتخلف: ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
26. مجموعة علماء مدينة تلمسان المحروسة. (رقم 47494). مخطوط متن العقائد، أو الحاشية المسماة بكتاب الدرر الفايق في جمع الحقائق والله تعالى أعلم. مكتبة مخطوطات الأزهر الشريف قسم مجامع العلوم، رقم 47494 عدد الأوراق: 16.
27. حمد بومدين. (2022). الحركة العلمية في تلمسان ما بين 1008هـ/1600م _ 1025هـ/1617م من خلال رحلة البطوي، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 14، العدد (02)، الجزائر.
28. حسن الفكيكي. (د.ت). من أعلام الريف الشرقي في القرن الحادي عشر الهجري عيسى بن محمد الراسي البطوي، مجلة دعوة الحق، المغرب
29. فاطمة الزهراء نجاوي. (2017-2018). الدراسة الإيتيمولوجية لأسماء الأماكن المأهولة – مقارنة لغوية تطورية (منطقة تلمسان أنموذجا)- أطروحة دكتوراه علوم، تلمسان: جامعة تلمسان.
30. قيادي قويدر. (2012-2013). كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين ج1، لمحمد بن سليمان الصائم التلمساني الملقب بالجازولي (ق 17م) – تق و تح: أطروحة دكتوراه في الأدب الشعبي. تلمسان، الجزائر: جامعة تلمسان.
31. بوغديري كمال. (2014-2015). الطرق الوفية في الجزائر الطريقة التيجانية نموذج – دراسة أنثروبولوجيا بمنطقة بسكرة -، أطروحة دكتوراه، سطيف: جامعة محمد لمين دباغين جامعة سطيف 02.

32. مهتاري المولودة زرقه فائزة(2005-2006) أضرحة الأولياء في الغرب الجزائري، دراسة تاريخية ومعمارية من خلال بعض النماذج، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2005-2006.

ثانيا المراجع باللغة الاجنبية

33. Edmond .(1909) .La SociétéMusulmane Du Maghreb Magie&Religion Dans L'afrique Du Nord.
34. Emanuel A .(1662) .Relation De La Captivité&LibertéDu Sieur Emanuel D'Aranda, Jadis EsclaveàAlger Ou Se Trouvent Plusieurs Particularités De L'Afrique, Dignes De Remarque 3 (المجلد 3) emeédition , (Bruxelles): , Augmentee De Treize Relations& 'Autres Trailles Douce, Par Le Mesme Autheur, Jean Mommart.